

4) يمكن أن توضع علامات الشكل (إشارات الحركات أو السكون) فوق جميع الحروف التي تمثل الأصوات الصامدة بما فيها الواو والياء.

5) لا يمكن أن توضع علامات الشكل (إشارات الحركات أو السكون) فوق جميع الحروف التي تمثل الأصوات الصامدة غير القصيرة (المدات)، بل توضع قبل كل حرف مد الحركة التي تناسبه فقط (الفتحة قبل الألف المدة، والكسرة قبل الباء المدة والضمة قبل الواو المدة).

يظهر من استعراض هذه المبادئ أن الكتابة العربية ليست مقطعة، كما أنها في الوقت نفسه ليست أبجدية تماماً. إنها نمط خاص من الكتابة يدون جميع الأصوات الصامدة عن طريق تحديد إشارة (حرف) لكل صوت صامت من ناحية، ومن ناحية أخرى يدون الأصوات الصامدة غير القصيرة (المدات) عن طريق تحديد إشارة (حرف) للألف المدة وعن طريق اشتراك الباء المدة والواو المدة في الحرفين (ي) و(و) الموضوعتين أصلاً للباء الصامدة والواو الصامدة. أما الأصوات الصامدة القصيرة (الحركات)، فقد خصصت لكل منها إشارة. كما خصصت إشارة السكون المعروفة لتفيد عدم حركة الصوت الصامت. ولا توضع علامات الشكل (إشارات الحركات أو السكون) عادة إلا حين خيبة اللبس. وفي ضوء ذلك نفهم لماذا اتفق علماء العربية على أن عدد الحروف في العربية تسعة وعشرون حرفاً هي جميع حروف الأبجدية مضافاً إليها (لا) التي تمثل الألف المدة (واللام حاملة لها)، ونفهم لماذا بحثوا بشكل متصل في الألف المدة ولم يبحثوا في الباء المدة والباء غير المدة، أو في الواو المدة والواو غير المدة.

ثانياً : الساكن والمتحرك في علم اللغة العربية :

بما أن علماء العربية استخدموا مصطلح (الحرف) للدلالة على شكل الكتابة وللإشارة إلى الصوت. فقد اضطروا إلى عدم دراسة الأصوات (الحروف) من حيث

المدات الثلاث وتحظر وضع علامة السكون فوق المدات .
هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لا تكون الياء والواو حرف (صوتي) مد إذا لم يتبعها بحركة مناسبة لكل منها ، بل تكونان صوتين صامتين كبقية الأصوات الصامتة .
ويمكن وبالتالي أن نكتب فوقيا علامات الشكل (إشارات الحركات أو السكون) كما في (بيت ، قوم ، يد ، ولدان ...).

لقد وصف ابن جني ميزان العروض بأنه «عيار الحس وحاكم القسمة والوضع»^(٤) ولعل من المفيد هنا الرجوع إلى ميزان العروض لبيان أن وصف حروف المد في علوم العربية بأنها سواكن يقصد به الاشارة إلى أن اشباع لفظ حركة المتحرك يشبه السكون من حيث أن الاشباع كالسكون لا يؤدي إلى ظهور مقطع صوتي جديد ، بل يؤدي فقط إلى تغيير وصف المقطع .

وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي علم العروض العربي انطلاقا من خصائص النظام الصوتي للعربية التي تتجلى في أن الصوت الصامت المتحرك بمثيل مقطعا صوتيا ثانيا ، وتتجلى أيضا في أن الحركة ليس لها وجود متفصل عن صوت صامت يلفظ قبلها ويتصل بها . فحمد الخليل لدى تحديد أوزان البحور إلى الميز بين المتحرك (الذى يمثل مقطعا صوتيا) وغير المتحرك (الذى لا يمثل مقطعا صوتيا) . فاستطاع بذلك أن يحدد الأسباب والأوتاد والفوائل التي تتربّك منها الأوزان والتي أجملوها في قولهم (لم أر على ظهر جبل سكتن) .

وستعمد فيما يلي إلى تحليل الأسباب والأوتاد والفوائل إلى المقاطع الصوتية التي تتألف منها :

1) السبب الخفيف (—٠) لم : قصير مغلق (قصير مفتح + صامت ساكتن) .

2) السبب الثقيل (—/) أر : قصير مفتح + قصير مفتح .

3) الوتد الجموع (—٠) على : قصير مفتح + طويل مفتح (قصير مفتح + اشباع)

4) الوتد المفروق (—٠/) ظهر : قصير مغلق (قصير

(٤) «الخصائص» حققه محمد علي التجار ، دار المدى - بيروت - ج ١ / ص 88

- مفتوح + صامت ساكتن) + قصير مفتح .
- 5) الفاصلة الصغرى (—/-٠) جبل : قصير مفتح + قصير مغلق + قصير مفتح (قصير مفتح + صامت ساكتن)
- 6) الفاصلة الكبيرة (—/-٠) سكتن : قصير مفتح + قصير مفتح + قصير مفتح + قصير مغلق (قصير مفتح + صامت ساكتن).

وبعد تحليل المقاطع الصوتية التي تتألف منها الأسباب والأوتاد والفوائل ، يتبيّن لنا أن الصوت الصامت غير المتحرك (الساكن) لا يمكن لفظه إلا في نهاية مقطع صوتي قصير مفتح (أي بعد متحرك) ويؤدي إلى تغيير وصف المقطع الصوتي باಗلاقه بعد أن كان مفتوحا ، مما يسمح بتمييزه في اللفظ عن بقية المقاطع القصيرة المفتوحة (أي عن بقية المتحركات) . كما أن اشباع الحركات (الفتحة والكسرة والضممة) - الذي ينجم عنه لفظ تلك الحركات ألفا وباء وواوا مرات - يؤدي كذلك إلى تغيير وصف المقطع الصوتي القصير المفتح يجعله طويلا ، مما يسمح بتمييزه في اللفظ عن بقية المقاطع القصيرة المفتوحة (أي عن بقية المتحركات) .

وهكذا يتبيّن أن لفظ صوت صامت ساكتنا بعد متحرك وكذلك اشباع لفظ حركة المتحرك يؤديان إلى تمييز هذين المتحركين عن بقية المتحركات . وينجم عن ذلك اختلاف في التفعيلات التي تميّز بها الأوزان . لذا يدو لفظ الصوت الصامت ساكتنا بعد متحرك ممايلا لاشباع لفظ حركة المتحرك في تفعيلات العروض من حيث أن كل منها يمثل توقفا (سكونا) بعد متحرك . فيشار إليها بالعلامة (٠) ، في حين يشار إلى المتحرك بالعلامة (—) .

لقد حدّدنا - في هذه المقالة وفي مقالة «الصوات والصوات في العربية» - بعض خصائص النظام الصوتي للعربية ، وبيننا كيف انعكست في نظام الكتابة العربية . وسنعتمد في المقالة التالية بعنوان «نظرة جديدة إلى المعجم العربي» إلى بيان كيف انعكست خصائص نظام أصوات العربية وكتابتها في نظام المعجم العربي .

اللهجات العامية.. لماذا؟ وإلى أين؟

بِقَلْمِ دُ. حَسْنِي مُحَمَّد

جامعة اليرموك — الأردن

بمحدوبيتها وبساطتها ، أو غنية سامية بسموها وتعقدها ...
ماديًّا ومعنوًياً .

ولغة الأمة هي وعاء فكرها وعواطفها عبر العصور . ولما كان ذاك الفكر وهذه العاطفة عرضة للتغيير والتطور ، فإن اللغة — الوعاء تخضع ، بدورها ، لهذا التطور وذلك التغيير .. تتطور مع أهلها في الحالات الحياتية الإنسانية التي تمر بها الجماعة . ومن هنا ، فإن اللغة «ظاهرة اجتماعية تتضمنها حاجة الإنسان إلى التفاهم مع أبناء جنسه» . ومن هنا أيضًا ، فإن «أهم المؤثرات في مختلف ظواهر اللغة ترجع إلى أمور تتعلق بالحياة الاجتماعية ونظم العمران»⁽¹⁾ . ويعتبر أحمد أمين اللغة نظامًا اجتماعيًّا كالدين والحكومة ، يخضع لتأثير الزمان والمكان⁽²⁾ .

وحقيقة اللغة «أنها مجموعة من الأصوات الإنسانية العديدة تصدر عن جهاز خاص مكون من أجزاء متغيرة ومن عدد من الأحوال الصوتية ، ثم تتألف هذه

كلمة أولية :
لو كان الإنسان يستطيع أن يحيا حياة غير اجتماعية ، فهل كان سيحتاج إلى اللغة يتسلل بها إلى شيء ما؟ لو كانت مثل هذه الحياة هي قدر هذا المخلوق ، فلربما كان يكتفي بعض التصرفات البدائية أو الوسائل التعبيرية البسيطة يتسلل بها للإفصاح عن مواقفه تجاه الطبيعة مثلاً في حالات مثل الخوف أو الدهشة أو الاعجاب . ولكن هل كان هذا المخلوق في مثل هذه الحال سيحمل صفات الإنسان التي نعرفها أو حتى مجرد تسمية إنسان؟ وفي حال مثل هذه الفرضية المستحيلة لم يُستحب إلى اللغة؟ وما هي ضروريتها بالنسبة إليه؟ إنه حتى أنواع الحيوان والحيشات التي تعيش في جمادات تحتاج إلى وسائل تتسلل بساطتها إلى التفاهم والعيش في حدود حياتها التي تحييها . ولما لم تكن حياة الإنسان بسيطة أو هينة . فقد اقتضت أن تكون لغته في مستوى هذه الحياة : محدودة

(1) علي عبد الواحد وافي — علم اللغة (دار نهضة مصر للطبع والنشر — القاهرة . ط ٧ — د. ت. ظهرت الطبعة الأولى حوالي سنة 1940) : 267 . انظر كذلك حسن عون — دراسات في اللغة والنحو العربي (معهد البحوث والدراسات العربية — القاهرة — القاهرة — 1969) : 7 .

(2) انظر ما كتبه في تصدير كتاب «العربية — دراسات في اللغة واللهجات والأساليب» تأليف يوهان فلک — ترجمة عبد الحليم التجار (مطبعة دار الكتاب العربي — القاهرة 1370هـ— 1951م) الصفحة الأولى من التصدير . وانظر كذلك «اللغة العربية عبر القرون» — محمود حجازي (القاهرة — دار الكتاب العربي — المكتبة الثقافية رقم 197 سنة 1968) : 7 — 8 .

ونظم تركيبية ومن دلالات أو تراكيب سقطت من الاستعمال ، قد تساعد معرفته على الكشف عن تطور الحياة العقلية للفرد وللمجتمع معه^(٥) . وما ذلك إلا لأن اللغة ، كما يرى (مايتوفسكي) العالم الانثربولوجي ، ليست « مجرد وسيلة للتفاهم والاتصال ، فهي حلقة في سلسلة النشاط الاتصافي المنظم ، وانها جزء من السلوك الانساني ، وهي ضرب من العمل ، وليس أداة عاكسة للفكر ... وإن مواقف العمل هي التي تعمل في تنويع اللغة ...»^(٦) . وبيدو أثر ذلك واضحًا في بساطة اللغة ومحدوديتها ، وفي تعقدتها وغناها ، كما يبدو فيها ينبع عنها من لهجات قد تتطور وتستقل ، فتصبح لغات مختلف قليلاً أو كثيراً عن اللغة الأصل .

واللهجة (*Dialect*) في الاصطلاح العلمي الحديث ، هي «مجموعة من الصفات اللغوية تتسمى إلى بيئه خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة . وبين اللهجة هي جزء من بيئه أوسع وأشمل تضم عدة لهجات ، وكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم بعض وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات . وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلاح على تسميتها باللغة»^(٧) . وما تعارف اليوم على تسميتها (لهجة) ، كان العرب في القديم يطلقون عليه كلمة (لغة) أو كلمة (حن) ، لغات القبائل

الأصوات فيها بينما ليكون منها مجموعات مختلفة ، كل واحدة منها تؤدي معنى من المعاني الكثيرة»^(٨) . وعلى هذا الأساس ، فاللغة «نظام تعبيري صوري استقر عليه العرف والاستعمال في عصر معين وبين جماعة أو طائفة معينة يمكن بواسطته التفاهم بين أفراد هذه الجماعة الذين يبلغون مستوى عادياً من الأدراك»^(٩) . ولما كانت اللغة تشمل «كل ما قاله أو يقوله أو سيقوله أي فرد من أفراد جماعة لغوية ما»^(١٠) ، فإنها تشكل الاطار الاجتماعي لكلام الفرد الذي يتم في إحدى صورتين : - إما بالنطق وإما بالكتابة^(١١) .

ونحن في هذا البحث لا نود الخوض في مناقشة قضية اللغة من حيث هي توقيف^(١٢) أم ظاهرة اجتماعية يتواضع عليها المجتمع ، فقد انتهى الرأي العلمي الحديث إلى الحقائق التي ذكرناها ، إذ تعد اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب ، حيث أن كل تغير يحدث في ناحية من التواحي يتزدد صداه في أداة التعبير .. «بالوقوف على المراحل التي اجتازتها لغة ما ، وفي ضوء خصائصها في كل مرحلة منها ، يمكن استخلاص الأدوار التي مر بها أهلها في مختلف مظاهر حياتهم»^(١٣) . وباعتبار اللغة نظاماً ترکيبياً يؤدي أدواراً وظيفية في جماعة معينة ، وباعتبارها ظاهرة انسانية متطورة ، فإن الدراسات اللغوية (تكشف عن ميكانيكية النشاط النفسي في الفرد أولاً ثم ما يفرضه المجتمع على هذا النشاط النفسي الفردي من قواعد سلوكية اجتماعية ، كما تغطي جانباً هاماً من دراسة التطور الانساني وتقدم صورة لنظر النشاط العقلي من مكتسبات دلالية

(3) حسن عون المرجع السابق والصفحة نفسها.

(4) (5) عبد الرحمن أيوب - العربية ولهجاتها (معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة 1968) : 23

(6) تمام حسان - اللغة العربية معناها ومبناها (المجتمع المصري العامة للكتاب - القاهرة 1973) : 46

(7) انظر في ذلك مثلاً «الزهر في علوم اللغة وأنواعها» لسيوطى ، شرح وتعليق محمد جاد المولى وزميله - القاهرة . دون تاريخ .. ج 1 : 8 وما بعدها

وانظر كذلك ابراهيم أنيس - دلالة الألفاظ (القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية - ط 1 ، 1958) : 12 وما بعدها .

(8) علي عبد الواحد وافي - علم اللغة : 257 . انظر أيضاً حسن عون - المرجع السابق : صفحة 7 وما بعدها .

(9) عبد الرحمن أيوب - العربية ولهجاتها : 2 - بتصرف .

(10) ابراهيم السامرائي - التطور اللغوي التاريخي . (القاهرة - معهد البحوث والدراسات العربية - 1966) : 14 . لم يذكر مصدره في ذلك .

(11) ابراهيم أنيس - في اللهجات العربية (القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية - ط 3 - 1965) : 16 . ظهرت الطبعة الأولى سنة 1946 .